ثقيل روح خفيف عقل وقليل فضل كثير تيه

فما اقبح هذه العادات والتمدين الكاذب وما اسفل هذه الاداب وأحط هاته الاخلاق

وقد اعجب كثيراً واسأل نفسي لماذا يسير البعض على هذا المنهج القبيح وهو مخالف للآداب والكمالات ولماذا لا نرعى سبيل الآداب الصحيحة ونتخذ الاخلاق الفاضلة الطبيعية التي فطرنا عليها من غير كلف ولا عجب . فلو نصلح من انفسنا بانفسنا هذه العادات الذميمة ولا نقلد الاجانب فيما هو مفسد للاخلاق ومحط للآداب بل ما هو نافع ومفيد ومهذب ومتمم للفضائل ولست انكر انهم يحرزون منها بالقسط الوافر يمكننا وقتذاك ان ندرك كيف تعمل الفتاة او الفتى كي يرتقيا

ي . ج . الرشيدي

﴿ تأثير البنين على سعادة الوالدين ﴾

جلست ماري ذات يوم على فراش من الحرير الناعم واتكأت على منضدة من الوثير المزركش ناثرة شعرها بعضه على المنضدة و بعضه على اكتافها وكانت تحدق بعينيها في الفضاء كأنها عكست عليه صورة من افكارها تتأملها بامعان ولا تريد ان ترفع نظرها عنها . وكان على وجهها أثر من الشحوب وفي عينيها اثر من الدمع يشف عن بؤس وشقاء . لها زفرات لو اعطيت نطقاً لبلغت السماء وتنهدات لو اعطيت صوتاً لاقلقت القبة الزرقاء

وفيما هي بين البكاء والعويل والتنهد والزفير اذ خطر لها خاطر فهبت من مكانها ووقفت امام المرآة تتمعن بها وتدقق النظر تحاول ان تجمع بين ما رسم امامها على الزجاج من قوام نحيل قد دق ورق وعيون ذابلة قد غارت ووجه نحيل قد صبغه الاصفرار من تأثير السهر وعلته شارات البؤس والكآبة من الاعياء في الانتظار و بين ما طبع في ذاكرتها عن ماضي رسمها من خدود كالورد وعيون كالزهر وقوام

كالعود وطلعة كالبدر . حتى اذا لم تقدر ان تجمع بين ماضيها وحاضرها وتبين لها الفرق الواسع والبون الشاسع قالت :

جنيت عليّ يا شارل في سنة واحدة ما لم تجنه عليّ يد الايام في سنين عشر لماذا تهجرني على حبي لك وتجفوني على شغفي بك وتنبذني ولا ذنب لي ولا جريمة جنيت الا اني فقدت كل لمحة جمال ولم اعد اروق لنظرك — شارل ان انت تراني بمنظارك المكبر الذي كنت تراني به من قبل حيث كنت ترى كل سيئاتي حسنات . اما اليوم فانت ترى كل حسناتي سيئات وان انت حبست عني امرك وكتمت كراهتك

وملّت النظر الى المرآة فحولته عنها فوقع على مهد صغير بالقرب من سريرها عليه طفل له من العمر عام ونصف سليم الجسم قوي البنية جميل الطلعة

وكأن نظرات الام قد اخترقت صدر الولد فايقظته من منامه . وكان سروره عظيماً لما فتح عينيه الوديعتين الساحرتين فوقعتا على امه . فبش لها وهش واهتز لها طرباً . ففتحت له ذراعيها وحملته الى صدرها وضمته وقبلتهُ وهي تقول : حسبي ان تحبني انت ايها الملاك الصغير اذ لا يهمك يانعة كنت او ذابلة ممشطة الشعر او منثورته مرتبة الملابس ام لا . وسيرى شارل فيما بعد اني لم اعدم شبابي وافقد نضارتي الا في الاعتناء بولدهِ والاهتمام بفلذة كبده حتى جازاني على ذلك بالهجران

لا تمضي ساعة حتى تأتي من عملك لا لترى ولدك وامرأتك ولكن لتناول طعامك وتملأ معدتك ثم تذهب الى منزل حنا تقضي فيه من الوقت ما تشاء ولا تعود اليّ الا اذا جن الليل وانتصف . هناك تجد من حديث هند ما يسرك ومن منظرها ما يفرح قلبك . شتان بيني وبينها . وعند ذلك قرع الباب وكانت تتوقع مجيء زوجها فهرولت لتفتح له ولكن خافت ان لا يكنه فوقفت وراء الباب مرة تجدل شعرها بسرعة ومرة تمسح به دموعها حتى اذا انتهت فتحت مصراع الباب

وقد اصاب ظنها لان القادم لم يكن شارل بل كان امها وقد لحظت الام ماعلى محيا فتاتها من الكآبة والشحوب وفي عينيها من أثر الدمع فاستفسرتها امرها فانكرت

هذه ما بها وارادت ان تغير سياق الحديث . ولكن الام لم تكن لتساق الى الحديث الجديد قبل ان تعرف ما يحزن فتاتها و يبكيها . وقالت : ـ قولي ما بك ولا تخفي عني أمراً اذ ربما أقدر على ارشادك ونصحك

وكانت ماري في شديد الحاجة الى النصيحة فما سمعت كلمات امها حتى جرى الدمع من عينيها وهي تقول . نعم قولي يا اماه ارشديني وقوّمي الطريق امامي لاني شديدة الحاجة الى رأيك .

ان شارل يا اماه لم يعد يهتم بي ولا بولده وكأن منزله قد تحول الى فندق لا يأتيه الا للمبيت او تناول الطعام

على انه من الصعب جداً يا أماه أن أقطع نفسي لخدمته وخدمة ولده وأظل عاملة مكدة طول نهاري في خدمتهما حتى اذا انتهت ساعات عمله وعاد كل اقرانه الى منازلهم يقضون اوقاتهم في السهر والسمر والسرور أراني دونهم وحدي فريدة اقضي كل ليالي ساهرة في انتظاره حتى يغلبني النوم فلا ارى زوجي الا في كل صباح حيث يكون مسرعاً مهتماً بالخروج لعمله وعند الغروب حيث يتناول عشاءه ثم يخرج الى منزل جارنا يوحنا حيث يمضي عنده أغلب اوقات الليل فقالت الام ـ :

ـ وهل يعلم شارل ببكائك

ـ لا بد ان يعرف ذلك لان شارل لم يعوّدني منذ القدم على هذا الجفاء والهجران

ـ أولا تعرفين لهذا التغيير من سبب

ـ كلا يا أماه على ان البير لما كان كثير الصراخ كثير البكاء وكان شاغلاً كل اوقاتي واهملت ابيه بسببه لم يعد شارل يشعر بذلك النعيم الذي كان يجده في منزله من قبل . فأخذ يتخلف عن منزله الى منزل جارنا حنا وكان يذهب في بادئ الامر متأففاً لانه كان يحب أن تقضي تلك الاوقات في منزله الى جانب امرأته . على ان شارل ما لبث أن وجد له سلوى بالذهاب الى هناك فصار يكثر التردد . فارتاح قلبي لذلك في بادئ الامر لان حسبي أن ارى شارل مسروراً

على اني لما شعرت بوحدتي في بيته عني أخذت اعيد لمنزلي بعض الترتيب كما أخذت أوقات الطفل تنتظم فصار ينام ويقوم ويرضع في ساعات مخصوصة ويترك لي وقتاً طويلاً للراحة والعمل الى أن أرجعت الى منزلي ذلك النعيم القديم الذي كنا نتمتع به من قبل أن يولد ألبير

ولكني لم أنهض هذه النهضة يا أماه واستفيق من غفلتي الا بعد أن فقدت شارل

— لقد فهمت كل شيء يا ماري وعرفت سبب هذا التغير كله وعرفت انك سلكت ذلك المسلك الذي تسلكه كل فتاة طائشة نظيرك ولست ارى على شارل اي ذنب فيما فعل. لقد فهمت كل شيء وعرفت سبب هذه السحابة و . . .

— ظننتك يا أماه تنتصرين لي فاذا بك تدافعين عن شارل وتأتين بكل اللائمة عليَّ مع اني لم أجن ذنباً ولم أعرف سبباً لهذه المعاملة القاسية منه وهذا اللوم منك

— تذكري يا ابنتي أن التي تكلمك اليوم فتلومك هي نفس امك التي كانت تحنو عليك بالامس ولا تحنق عليَّ اذا قلت الحقيقة لان الحقيقة كثيراً ما تكون جارحة

— تكلمي يا أمي. قولي ارشديني وقوّمي الطريق أمامي لاني حرت في أمري ولم أعد أعرف ماذا أفعل

— لا تتصوري الامر عظيماً او خطيراً يا ماري لان زوجك سريع الرجوع اليك اذا أنت احسنت الفكرة وتدبرت الامر بحكمة. ولست انتِ اول من نحى نحوك فلقد كدت انا الاخرى افقد ابيك منذ ولدتك ولكني عدت فعرفت خطئي ورجعت عنه فعاد اليَّ

— وما الذنب الذي جنيت يا اماه قولي ولا تطيلي انتظاري

— اسمعي. لما ولدتك وكنت اذ ذاك صغيرة في السن طائشة اخذتني عليك لهفة الام الحسود على ولدها الوحيد فمنعت كل الايدي عنك وكنت اخاف أن اعطيكِ الى خادم او اخ او اخت او اب وبالنهاية كنت أضن أن اعطيكِ لابيك كأنما انتِ ولدي دونه. كنت اتعب واكد واشتغل في منزلي وانتِ على كتفي

او على يدي ولا اعطيكِ لاحد الا ان صراخك وبكائك اقلقاني جداً وحرماني لذة النوم والراحة . وقد شغلت كل اوقاتي فلم يبقَ لي وقت اهتم فيه بأبيك او ارتب فيه منزلي حتى اصبح خراباً غير منظم ولا مرتب .

واهملت خدمة ابيك الخصوصية فلم اعتنِ بملبسه ولا طعامه وكثيراً ما كان يعود عند الظهر فلا يجدني اعددت له شيئاً للطعام . فلا تستغرب بي اذا كنت اقول لك ان أباك زهد معيشته اذ ذاك واصبح سئماً من هذه الحالة السيئة

فما كنت اصدق ان يطول صراخك وتأنين الا والتجيء الى اراحة جسمي السقيم من التعب والسهر اغلب ساعات الليل وكل اوقات النهار فاذا ما جاء ابيك ووجدني نائمة يرأف بي ولا يقلقني ولكنه أيضاً لا يحلو له البقاء في المنزل وحده فيخرج ولا يعود الا اذا تحقق اني صحوت . فاذا جاء والطفل نائماً كنت اقابله بأقسى مقابلة واطلب اليه ان لا يعمل صوتاً في مسيره في المنزل ولا يتكلم بصوت عال ولا يوقع على قيثارة ولا ارضى أن أخرج معه الى زيارة بعض الاصحاب ولا ولا ولا حتى لم يعد يحلو له أن يبقى في المنزل دقيقة واحدة بعد ان رأى نفسه طفيلي نازلاً في منزل تلك الابنة التي حرمته لذة العيش وحرمته من زوجته . كان يدخل احياناً عليَّ وانتِ على يدي تبكين وتصرخين بصوت عالٍ فيطلب اليَّ أن يحملك قليلاً لعله يقدر ان يسكتك ولكني كنت ارفض طلبه كأني كنت اخاف عليك منه مستأثرة بك كأنك لي وحدي من دون العالم كله . وكنت اقول في نفسي ليس من شأن الرجال أن تحمل الاطفال بل هذا من شأن الام وحدها

على اني ما لبثت ان صلحت شأني وحسنت حالة المنزل واقلعت انت عن الصراخ وانتظمت اوقاتك فتركت لي وقتاً طويلاً ارتب فيه منزلي واعد لزوجي طعامه واقوم بخدمة البيت واعيد له بعض الهناء والسعادة الحقيقية ولكن ذلك كله كان بعد ان فقدت ابيك واستشعرت بوجدتي . فالتجأت الى البكاء والنحيب ولكن اباكِ لم يكن يعرف شيئاً من آلام نفسي واسقامي فماذا اعمل كي اكسبه واعيده اليَّ ؟

خرجت ذات يوم لازور جارة لي فرأيت زوجهـا يحمل لها طفلها ويداعبه ويلاعبه ويناغيه . فسررت جـداً من ذلك المنظر واشتقت بل تمنيت لو ارى هذا المنظر نفسه في منزلي . فما صدقت ان عاد ابوكِ عند المساء من عمله حتى حملتك اليه فأخذكِ وهو فرح جداً وقبلك وكأنه رأى فيكِ السعادة التي كان يندبها قبل ان يرزق بك والهناء الذي ينقص منزله . واعجبه ابتساماتك له ورأى منك عزاء وسلوى كبيرين منه جداً كما اني تركتك بين يديه واخذت اتشاغل في اعمال المنزل برهة ثم عدت اليه حالاً ومكثنا بهدو وصفاء هذه الليلة سعيدين جداً لانّا كلانا عثرنا على السعادة التي ينشدها قلب كل منا

وكانت هذه الليلة بدأة لليالي كثيرة عقبتها عرف فيهـا ابوك ان منزله احسن من الخارج ولم يعد يلذّ له الا البقاء بين زوجته وولده وهكذا عادت المياه الى مجاريها وانقشعت من امامنا تلك السحابة التي كانت تتهدد صفائنا

فقالت ماري :

— لعل هذا ما حصل معنا تماماً يا اماه ولعلي المخطئة المسيئة اليه وانا ألوم

— نعم هي الحقيقة وهذا الخطأ تقع فيه سيدات كثيرات عندما ترزق الواحدة منهنّ طفلاً وتجد نفسها انهـا صارت اماً تندفع في محبة الولد دون الوالد وتنقطع لخدمته اناء الليل واطراف النهار تاركة او متغافلة زوجها المسكين غير مباليـة بخدمته غير مؤدية له حتى اقدس واجباتها نحوه . تنسى زوجها وتهمله وتخص ابنهـا بكل اهتمامها وعطفها . ومع ذلك تظن انها مقصرة في حق الولد دون ابيه

وكثيراً ما يكون الرجل كريماً فيغفر لها كل ذلك مؤملاً ان تتحسن حالها مع الوقت ومع التجارب ولكنه عبثاً تذهب كل امانيه وآماله حتى تفقد زوجها ثم تعود ترميه بقساوة القلب وتأتي باللائمة عليه وحده وكثيراً ما يوسوس لها الشيطان فتتهم زوجها بالخيانة والغدر وتأخذها عليه الغيرة وتنزع ثقتها منه

— لقد اصبت ياماه فلا اكتمك اني اصبحت اغار عليه كلما ذهب عند جارتنا ولكن ما العمل الآن قولي لي ؟

— ليس باسهل من ان تعلمي زوجك ان يحمل ولده عند ما تكونين انت في شاغل عن ذلك . دربيه ان يداعبه ويناغيه . احمليه اليه كلما وجدته يصرخ ليحاول ان يسكته فكما ان عليك لطفلك واجبات كذلك له على ابيه واجبات كثيرة اخرى. فكما انك تحنين عليه وترضعينه وتعتنين بامر صحته وانمائه كذلك على الاب ان يعتني بابنه وان ينمي قوة الادراك والفهم عنده ويربي عقله . و بذلك تشتركان كلاكما في خدمته وتربيته .

— سأعمل بارشادك يا اماه واعوّض على شارل كل ما مضى

ولم تكن الا بضع دقائق حتى دخل شارل واجداً من زوجته ما لم يجده من قبل لان ماري فعلت بنصائح امها وارشاداتها فكانت هذه الليلة بداية حياة جديدة وجد فيها شارل زوجته كما وجدت ماري زوجها بعد ان ظن كل منهما انه لن يجد ضالته المنشودة او يعثر على السعادة في شخص زميله .

ع . ي . ع

﴿ في عالم الخيال ﴾

« وادي الاحلام »

اعزائي

أتومنون بالاحلام ؟ وهل تعتقدون تعبير الرؤيا ؟ لوددت لو فسرت حلمي او كابوس رؤيتي .

اني اكتب وانا أكد الذهن واجمع شتات فكري حتى لا يلبسه النسيان ثوبه القشيب : لقد امكني بعد الجهد ان وفقت الى تعبير اكيد وفقه لي الوهم او الخيال

ليس حلمي ككل الاحلام ولغرابته اسرده كما هو (طبق الاصل) : منذ العام الماضي كنت في الريف في مزرعة واسعة ذات فراش اخضر تحيطها اشجار الصفصاف والنخيل وكان بجوارها جدول مياه صافية تنساب في وسط المزارع وتتعرج بعيداً على امتداد النظر وكانت الشمس مائلة الى الغروب وقد كست الشفق بلون